

الغول - « تعني حفظه ، وتعني أيضا أن هذا المحفوظ سيكون ذخيرة للتمثل به والاستشهاد وحيث يحسن».

وتعني أيضا استماعه إليه ، وقد استمع إليه من الوليد بن عقبة ؛ أخيه لأمه ، في مجلسه حين وجد الوليد من تقديم عثمان للحكمم بن العاص في نفسه ، فتمنى أن يشب ابنا عثمان ليدعواه عما لهما ، فرق له عثمان وكافاه.

واستمع إليه من الثائرين عيه في محصره ، ومن زياد بن لبيد البياضى في شأن عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان . وتمثل به في رسالة بعث بها إلى على يطلب منه العون على الثوار وفيها:

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق

وقد شك بعضهم فيها وفيما تمثل به . أما عن قرضه للشعر فيقول أبو إسحاق إبراهيم بن على الحصري: «ذكر أهل العلم أنه لا يعرف لعثمان شعر ، وأنشد له بعضهم :

غنى النفس يغني النفس وإن عضاها حتى يضر بها
حتى يكفهها الفقى وما عسرة فاصبر لها إن تابعت
بأقية إلا سيبعتها يسر»

ويذهب العقاد إلى التشكيك في هذين البيتين قائلا: «ولكن هذا الشعر وغيره مشكوك في نسبه إليه» . وكذا الدكتور هدارة حيث يقول بعد أن أشار إليهما وإلى قصيدة في رثاء الرسول: «ولكني لا أعتقد بصحة نسبة هذا الشعر إليه ؛ إذ كان رضى الله عنه غير معروف بمعالجة أساليب البيان» .

بينما يرى الدكتور أحمد فؤاد الغول أن البيتين - وقد أوردهما - صحيحا النسبة إليه - إذ إنهما يتفقان وروحه المؤمنة المستأنية وتجاربه الطويلة التي ولدتها سياحته وتجواله في الأرض بحكم عمله تاجراً ، فأكسبه ذلك خبرة بنفسيات الناس ، وما تنطوى عليه الحياة من أزمات يعقبها انفراج ، فلا نستبعد أن يكون عثمان قد قال مثل هذا الشعر الذي يمكن أن يصدر عن غني مؤمن ، غنى ماديا ونفسيا ، لا نستبعد أن يكون عثمان قد قال مثل هذا الشعر وأهمله الرواة لعدم تعلقه بحياة الناس يومذاك ، ولأن الأحداث الجسام التي هزت الدولة الإسلامية في زمنه غطت على ما عداها ، فصار قرضه الشعر واهتمامه به أمورا صغيرة ، أصغرها الرواة والأحداث التي عني الرواة بنقلها ، فلم يصل إلينا منها شيء يذكر»

والذي نراه أن عثمان رضى الله عنه - ولا يقلل هذا من شأنه - لم يكن شاعراً ؛ فالمرثية التي يزعمون نسبتها إليه اعتماداً على الجمهرة وفيها «قال المفضل : ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا وقد قال الشعر وتمثل به (فمن) ذلك قول أبي بكر ... وقال عثمان رضى الله عنه.

فيا عين ابكي ولا تسأمي وحق البكاء على السيد»

ثم لم يورد غير هذا البيت ، جاءت في مصادر أخرى كاملة منسوبة إلى أبي بكر الصديق رضى اله عنه ، فلعل عثمان قد قاله - وهو الراجح لدي ، ويؤكد صدر الرواية «...إلا وقد قال الشعر وتمثل به» - تمثلاً .

أما البيتان فلم يردا إلا في زهر الآداب ، وقد صدرهما القيرواني - كما رأيت - بقوله : «ذكر أهل العلم أنه لا يعرف لعثمان شعر ..» .

فما ذكرهما إلا من قبيل الأمانة في النقل ، وترك العهدة على من أنشدهما لعثمان وهم مجهولون بالنسبة لنا . وليس من المصادفة - بعد هذا كله - أن تجيء كلمة سعيد بن المسيب - وهو أعلم بهؤلاء الخلفاء منا - على هذا النحو: «كان أبو بكر شاعراً وعمر شاعراً وعلى أشعر الثلاثة» . مع استبعاد عثمان رضى الله عنه . أما

قول ابن رشييق :« فهؤلاء الخلفاء الأربعة ما منهم إلا من قال الشعر » فقد تنصرف كلمة « قال » كما ذكرت إلى التمثل أو حتى مجرد الإنشاد.